لكنَّ حبل الكذب ضئيل واليوم قد حصحص الحق لكل من لا تعمي ابصارهم الاهواء. انارهم الله بحقيقته ودفع عنهم شُبُهات التُرّهات

# النصرانية وآدابها
## بين
# عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي ( تابع )

### ٢ أحداث العهد الجديد

كما عرف العرب في الجاهلية الاخبار المدوَّنة في اسفار العهد العتيق كذلك عرفوا احداث العهد الجديد واشاروا اليها نظماً ونثراً

ومعلوم انَّ مدار اخبار هذا العهد على ما رواهُ الانجيليُّون الاربعة عن السيد المسيح وسيرة حياته وتعليمه وموته وقيامته يُضاف اليها امور ورد ذكرها في التقليد الراقي الى قرون النصرانيَّة الاولى ودُوِّنت في تآليف عديدة بعضها صحيحة صادقة كمصنَّفات الآباء والكتبة القدماء وبعضها امتزج فيها الحقُّ بالمين واختلط الباطل باليقين كبعض اناجيل الزور التي سبق لنا وصفها في المشرق سنة ١٩٠٨ (١١ : ١٦٤—٢٠٥ ) وانتشر قسمٌ منها في بلاد العرب بين اهل الجاهليَّة

فممَّا عرفوهُ انَّ عيسى اي يسوع الناصري هو المسيح. قال السموءل ( راجع طبعتنا لديوانه ص ٣٢ ) :

وفي آخر الأيام جاء مسيحُنا فأهدى بني الدُنيا سلامَ التكامُلِ

والعرب لم يُطلقوا هذا الاسم على غيره بل صرَّحوا انهُ هو اسمهُ الخاص بهِ. وكذلك نسبوهُ الى امهِ مريم كما مرَّ لعمرو بن عبد الحق :

وما سبَّح الرهبانُ في كلِّ هيكلٍ ابيل الابيلين المسيح ابن مريما

يؤيدهُ قول القرآن في سورة آل عمران ( ع ٤٠ ) « اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشِّرك بكلمةٍ منهُ اسمهُ المسيح عيسى ابنُ مريم »

وقد عرفوا من التقليد انَّ مريم العذراء مباركة بين النساء تفوق شرفاً على نساء

العالمين فطهّرها الله منذ حُبل بها بالبطن وذلك بنعمة خاصة منهُ تعالى حتّى انّ الثعلبي روى في كتاب قصص الانبياء المسمّى بالعرائس ( ص ٣٣٧ من طبعة مصر ) حديثاً رفعهُ باسنادهِ الى ابي هريرة عن نبي المسلمين وهو قولهُ: « ما من مولود الّا والشيطان يَمَسُّهُ حين يولد فيستهلّ صارخاً من مسّ الشيطان الّا مريم وابنها » ولعلّ القرآن اشار الى هذه النعمة الجليلة حيث يقول ( سورة آل عمران ( ع ٣٧ ): « يا مريم انّ الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين »

وذكر الثعلبي ايضاً ( ص ٣٣٥—٣٣٨ ) وروى قبلهُ المقدسيّ ابن طاهر في كتاب البدء والتاريخ (ج٣: ١١٨—١٢٠ ed.Huart) خبر مولد مريم العجيب من حنّة العاقر بعد نذر والدتها ثمّ اعتزالها في هيكل اورشليم لخدمة الكهنة ثمّ كفالة زكريّا لها في الهيكل الى حين اقترانها بالقديس يوسف وكل ذلك منقول عن التقليد المسيحي القديم وهو مرويّ في سورة آل عمران ( ع ٣١—٣٣ ):

« اذ قالت امرأة عمران: ربِّ اني نذرت لك ما في بطني محرّرًا فتقبّل مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت: ربِّ اني وضعتُها أُنثى والله اعلم بما وضعتْ وليس الذكرُ كالانثى واني سمّيتُها مريم واني اعيذُها بك وذرّيّتها من الشيطان الرجيم فتقبّلها ربّها بقَبُول حسن وانبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريا. كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم: انّى لكِ هذا. قالت: من عند الله ان الله يرزُق من يشاء بغير حساب »

ولم يُفتهم ذكر يوحنّا المعمدان السابق أمام وجه المسيح فرووا ما ورد مسطّراً في انجيلي لوقا ومرقس عنهُ اعني ميلادهُ العجيب على كبر سنّ والديهِ وبيّنوا مقامهُ بين الانبياء وتقدّمهُ امام وجه المسيح وموتهُ على يد هيرودوس انتياس اذ نهاهُ عن الزواج بامرأة اخيهِ كما ورد في تاريخ الطبري ( ج ١ ص ٧١١—٧٢٠ ) وفي كتاب البدء والتاريخ ( ٣: ١١٦—١١٨ )

وممّا رووهُ بتفصيلهِ بشارة الملاك للعذراء مريم بالمسيح وحَبلها من الروح القدس وإنْ دخل في روايتهم منقولات ضعيفة عن كتب غير قانونيّة كما رأيت في القصيدة التي اثبتناها سابقاً ( ص ١٨٧—١٨٨ ) عن اميّة بن ابي الصلت التي اوّلها :

وفي دينكم من ربِّ مريم آيةٌ  منبّئةٌ بالعبد عيسى بن مريما

ومثلها ما رووهُ من المعجزات عن يسوع الطفل كتكلّمهِ في المهد وكآياتهِ في هربهِ الى مصر من وجه هيرودوس وفي حياتهِ في الناصرة كانحناء اغصان النخل امام

امه لتجني من ثمرها وكنبات البلسان في المطرية اذا سقت ارضها بماء غسله وكإلحام يسرع لاستاذه في الناصرة بما كان يعرضهُ عليه من المشاكل وكنفخه في طير يصطنعهُ من طين فيحيا ويطير واخبار كثيرة مثلها رُويت في الاناجيل الموضوعة التي شاعت في جزيرة العرب اخصها الانجيل الطفولية فتناقلها اهل الجاهلية ورُوي بعضها في القرآن في السُّوَر الموسومة بآل عمران والنساء والمائدة ومريم

وذكروا من حياة المسيح العلنية بَعْثَهُ لرسله وانصاره الحواريين فنوَّهوا بهم في شعرهم ( راجع الصفحة ١٨٩—١٩٠ وكرَّر ذكرهم في القرآن . وذكروا ايضاً الآيات التي اجترحها ورُويت في الاناجيل كتطهير البرص وفتح عيون العميان وردّ النطق للبُكم والسمع للصُّم واحياء الموتى حتى ضُرب المثل بطبّ عيسى وشفاء عيسى قال الثعلبي في كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ( طبعة مصر ص ٤٧ ) :

طبّ عيسى — يُضرب به المثل لانهُ كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله . ومن امثال العرب : فلان يتطبَّب على عيسى بن مريم قال المتنبّي :

فآجَرَكَ الالهُ على عليلٍ بعثتَ الى المسيح به طبيبا

وكثيرًا ما ذكروا الانجيل الذي بشَّر به السيّد المسيح فاشاروا الى ما فيه من الهدى والنور والموعظة للمتَّقين » ( سورة المائدة عين ٥٠ ) قال عديّ بن زيد ( كتاب الحيوان للجاحظ ٤ : ٦٦ ) :

وأُتوا المُلكَ والانجيل نقرأهُ نشفي بحكمته اسلامنا عَمَلا
من غير ما حاجةٍ الّا ليجمّعنا فوق البريّة اربابًا كما فعلا

ومثلهُ قول النابغة في بني غسّان وقد دعا الانجيل بالمجلّة :

بجلّتهم ذاتُ الالهِ ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وأدركوا اسرار حياة المسيح في ختامها كدخوله اورشليم يوم الشعانين ( راجع الصفحة ٢١٥ ) وكعشائه السرّي في خميس العهد ورسمه لسرّ القربان الاقدس وآلامه وصليبه وموته وان اختلطت في اقوالهم شُبُهات نقلوها عن الكتب المزوَّرة التي رذلتها الكنيسة منذ ظهورها . وقد سبق انا ( ص ٢٠٩ — ٢١٠ ) ايراد اقوالهم في القربان . وتسميتهم لهُ بالسِّرّ . وقلنا هناك انَّهُ ليس بمستبعد انَّ القرآن في سورة المائدة ( ١١٢—١١٦ ) يذكر المائدة التي انزلها السيّد المسيح على الحواريين انما

السيد البطريرك اغناطيوس انطون سمعيري
في هيئة رتبة مع درع الرئاسة

اشار الى المائدة السمويّة اي القربان الاقدس ( راجع تاريخ الطبريّ ج ١ ص ٧٣٥) وكذلك عرفوا في عهد الجاهليّة انّ النصارى يعبدون المصلوب ( راجع الصفحة ٢٠٣ — ٢٠٤ ) كقول حجّار بن ابجر في بني عجل النصارى :

يعبّدني عجلٌ وما خلتُ انّني خلافٌ لعجلٍ والصليبُ لها بَعْلُ

وكقول الأُقَيْشر :

« في فتيةٍ جعلوا الصليبَ إلههم »

وممّا ألمعوا اليهِ ذكر قيامة المسيح يوم الفصح وابتهاج النصارى فيهِ بعد الصوم الاربعيني ( راجع الصفحة ٢١٦ ) كما قال الاعشى في هوذة بن علي الحنفيّ اسارى تميم :

فنلتَ عن شثنٍ منهم إسارَهمُ واصبحوا كلُّهم من غُلِّهِ خُلُصا
هم تقرَّب يوم الفصحِ ضاحيةً يرجو الالهَ بما أسدى وما صنعا

وآخر ما رووا من اعمال المسيح صعودهُ الى السماء وهو عيد السُّلّاق (راجع ص ٢١٧) وقد دعا القرآن ذلك برفع عيسى (سورة آل عمران ع ٢٨ ) حيث قال : « قال الله يا عيسى انّي متوفّيك ورافعُك اليَّ »

ويضيفون الى ذلك انّ السيّد المسيح هو الذي يدين البشر في آخر العالم بعد انتصاره على المسيح الدجّال كقول القائل « اذ المسيحُ يقتلُ المسيحا » ( لسان العرب ٣ : ٤٣٠ ) وكما قال اميّة بن ابي الصلت ( راجع الصفحة ١٧٨ ) :

ايأمل يلقى نصارام مسيحَهمُ والكائنين لهُ ودًّا وقربانا

وهذا بلا شكّ اخذوهُ من قول السيد المسيح في الانجيل يوحنّا ( ٥ : ٢٢ ): « انّ الآب لا يدين احدًا بل اعطى الحكم كلّهُ للابن ليكرم الابنَ جميعُ الناس » او من قولهِ في انجيل متى ( ١٦ : ٢٧ ): « إن ابن البشر سوف ان يأتي في مجد ابيهِ مع ملائكتهِ ليجازي كل احد بحسب اعمالهِ »

وكما وقف العرب في الجاهلية على كثير من اخبار السيد المسيح المدوّنة في اسفار العهد الجديد اطّلعوا ايضاً على بعض الاحداث التي جرت للنصارى في الفترة التي كانت بين السيّد المسيح وظهور الاسلام . من ذلك بعثة رسل المسيح الى اقطار العالم ليدعوا الأمم الى دينهِ كما روى ذلك اقدم كتبة العرب كالطبري في تاريخهِ ( ج ١ ص

٧٣٧—٧٣٩ ) والطاهر المقدسي في كتاب البدء والتاريخ ( ج ٣ ص ١٢٧ ). ويقول مفسّرو القرآن انّ ما ورد في سورة يس عن مُرسَلَيْن أُرسلا الى قرية ليدعوا اهلها الى نفي عبادة الاصنام والايمان بالله انّما يشير الى حواريَّيْن وهما شمعون الصفا هامة الرسل وبولس الرسول قدما الى انطاكية ليردّا اهلها فقبل دعوتهم رجلٌ يدعونهُ حبيباً النجّار قُتل شهيدًا عن ايمانه وعاقب الله قاتليه ( اطلب تاريخ الطبري ج ١ ص ٧٨٩—٧٩٣ )

وممّا رووهُ من اخبار النصارى نقلًا عن كتبهم قصّة شهداء أفسس السبعة الذين اراد الملك دقيوس في اواسط القرن الثالث للمسيح ان يضطرّهم على عبادة الاصنام فهربوا من وجه الحكّام واختفوا في مغارة حيث قيل انّ الله ضرب على آذانهم فناموا ولم يستيقظوا الّا بعد سنين طويلة مرّت عليهم كليلة فبعثهم الله ليكونوا آيةً لقيامة الوتى. فهذه القصّة التي شاعت في عدّة بلاد وروتها مجاميع اخبار القديسين تحت اسم « السبعة النوّام » (les Sept Dormants) بلغت عرب الجاهليّة فدعوهم اصحاب الكهف اشارةً الى الكهف الذي رقدوا فيه. وقد ذكرهم اميّة بن ابي الصلت في ابيات لم يُعرَف منها غير بيت استشهد بهِ البيضاوي في تفسير القرآن ( طبعة ليدن ص ٥٥٥ ):

وليس بها الّا الرقيمُ مجاورًا وصَيْدَهُمُ والقومُ في الكهف هُجَّدُ

وكذلك وردت اخبارهم في القرآن في سورة الكَهف. وقد اتّسع كتبة العرب في تفاصيلها كما نقلناها في كتابنا مجاني الادب ( ٢ : ٢٣٦ ) ملخّصة عن الدميري وتجدها ايضاً مفصّلة في تاريخ الطبري ( ج ١ : ٧٧٥ — ٧٨٢ )

وقد عرف العرب في الجاهليّة شهيدًا آخر للنصرانيّة وهو القديس جرجس المستشهد في عهد ديوقليسيانوس في اوائل القرن الرابع للمسيح نحو السنة ٣٠٢ وهم يدعونهُ بالخضر جعلوهُ من الانبياء. وزعم الطبري ( ج ٧ ص ٧٩٥ ) « انّهُ ادرك بقايا من حواريّي عيسى ابن مريم » ورووا في استشهادهِ العجائب الغرائب (١. وقد وجدوا بين الكنائس المشيّدة لاكرامهِ كنيسةً ترقى الى القرن الرابع للمسيح في

١) راجع في المشرق ٦ [١٩٠٣]: ٢٨٥— ٢٩٥ ) مقالةً جمعنا فيها ما يُعرَف من آثار هذا الشهيد ثمّ اضفنا اليها اثرًا آخر اثبتناهُ في المجلّة عينها ( ١٠ [١٩٠٧]: ٤١٤ — ٤٢٠ ) اطلب ايضاً تاريخ الطبري ( ١ ص ٧٦٥ — ٨١٢ )

جهات العرب وهي اقدم الكنائس على اسم ذاك الشهيد العظيم بُنيت سنة ٣٦٧ في مدينة شقّة من اعمال حوران (١

وقد سبق لنا ( اطلب الجزء الاوّل ص ١٠٣ — ١٠٤ ) انّ عرب الجاهليّة عرفوا ايضاً القديسَين الشهيدَين سرجيوس وباخوس وانّ اقدم أثر كُتب بالعربيّة انّما كان لتذكارهما. وقد رسمنا هناك صورة ذاك الأثر الراقي الى سنة ٥١٢ للمسيح وروينا ما اثبتهُ احد مشاهير السريان عن تعبُّد العرب في الجاهلية للقديس سرجيوس كما انّنا ذكرنا اقوال الشعراء في خروجهم الى الحرب تحت راية ذاك الشهيد ( ص ٩٩—١٠٠ )

واشتهر بينهم شهداء نجران الذين ماتوا في سبيل دينهم في وسط العرب فعرفوهم باصحاب الاخدود لانّ ذا نوّاس الطاغية الحميري اليهودي القاهم في اخاديد اضرم فيها النار فاستشهدوا لكرامة دين المسيح واليهم اشار القرآن في سورة البروج حيث قال ( ع ١— ٩ ):

والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قُتل اصحاب الاخدود النار ذات الوَقُود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الّا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي لهُ ملك السماوات والارض والله على كل شيء شهيد

امّا ذو نوّاس فحاربهُ الحبش وغلبوهُ وانتزعوا بلاد اليمن من يدهِ وفيهِ يقول عمرو بن معدي كرب ( كتاب العرائس الثعلبيّ ص ٣٨٦ وكتاب البدء والتاريخ ٣ : ١٨٣ ):

أتوعدُني كأنّك ذو رُعين بأنعم حِمْيَرٍ او ذو يزَنِ
وقدماً كان قبلك في نعيم (٢ وملك ثابت في الناس راسي
فقدتم عهدهُ (٣ من عهد عادٍ عظيم ناهر الجبروت قاسي
فأمسى اهلهُ بادُوا وامسى يُنتقَل (٤ في أناسٍ من أناس

ومما درى بهِ ايضاً عرب الجاهليّة من امور النصارى نظام كنيستهم من رئيس

---

١) راجع مجموع الكتابات اليونانيّة ( CIG n° 8639 ) وكتابات وادنتن (Wadington, n°s 1981, 2038, 2092, etc)

٢) روى في كتاب البدء والتاريخ (٣ : ١٨٣) : وكان كان قبلك من نعيم

٣) وفيهِ : قديمٌ عهدهُ ٤) وفيهِ : يحوَّلُ

ومرؤوس كالبطاركة والمطارنة والكهنة والرهبان مع ما لهم من الطقوس الدينية والاسرار المقدسة والعادات التقوية وقد اثبتنا ذلك في الفصول السابقة بياناً لانتشار النصرانية في جزيرة العرب فليراجع ( لهُ بقيَّة )

# الوحي الالهي

## نظر في امكانهِ وضرورته

للاب شرل ايلا اليسوعي

لا حاجة هنا الى تفنيد كل ما آلت اليهِ فلسفة اعداء الوحي من التوهمات والاراجيف . فلا نخال القارئ اللبيب يتطلَّب منَّا في موقفنا هذا ان نبسط الادلة الناطقة بروحانيَّة النفس وخلودها ووجود الهٍ قائم بذاتهِ خالق للعالَم متميِّز منهُ ومتسامٍ عليهِ بصفاتٍ لا حدَّ لكمالها الى غير ذلك من الحقائق الاساسية التي كأنَّ الطبيعة ذاتها رسَّختها في العقول . وانَّما اتينا ( ص ٢٨٩ — ٢٩٦ ) على ذكر ما شذَّ عنها في حكمة المتعاقلين ليُعرَف الاصل من الفرع والطريقة ممَّا تؤدّي اليهِ

فحسبنا اذًا اقامة الحجَّة عليهم فيما يتحاماون بهِ على نفس الوحي الالهي وقد مرَّ بك ( ص ١١٧ — ١١٨ ) انَّ مرجع ضلالهم فيهِ الى قضيَّتين . فامَّا انهم يعدُّونهُ ضرباً من المحال فيستنتجون عدم وجوده قبل التنقيب عنهُ واستطلاع البراهين الدالَّة على صحَّته . وامَّا انَّهم يتزهون عنهُ الحقّ سبحانهُ وتعالى بحجَّة انَّهُ لا يليق بجلاله وعظمته اذ ليس منهُ على قولهم فائدة للبشر والله حكيم وزين لا يُضيع الوقت فيما لا طائل تحته

وكان بامكاننا ان نضرب صفحاً عن ادعاءاتهم الواهنة هذه وتجيبهم مباشرةً : ليس من دليل على امكان شيءٍ اصرح من وجوده وليس من شاهدٍ انطق بفائدة امرٍ من ان يكون صانعهُ الرب الحكيم . والحال يا ارباب الحكمة المتعاقلة انَّ الوحي حادثٌ واقعيٌّ وما مُحدِثهُ الَّا الله تعالى . وكفانا على هذا شاهداً ايمان ملايين من البشر وفي مقدَّمتهم آيةٌ في العلوم من جميع اصنافها في كل اين وآن مَن